المنهج المقارن في تفسير الثعلبي من خلال كتابه الكشف والبيان

comparative approach to interpreting the al-thaalabi through his book disclosure and explanation

الدكتور جلول بلقاسم

جامعة أحمد بن بلة-1- وهران- الجزائر

البريد الإلكتروني: aboumostapha02@gmail.com

الملخص:

لقد سار علماء الأمة منذ القدم مع تفسير كلام الله عز وجل، يسترشدوا بهداياته وينظروا في توجيهاته، ويبرزوا عظمة هذا القرآن، ونشأ عن ذلك أساليب متنوعة في علم التفسير، ومنها التفسير المقارن الذي اشتغل به المتقدمون، ومن بين هؤلاء العلماء المفسر أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي صاحب تفسير(الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، فكان البحث موسوماً بـ: (المنهج المقارن في تفسير الثعلبي من خلال كتابه الكشف والبيان)، خصصت المطلب التمهيدي للتعريف بالمنهج المقارن في التفسير، وبأبي إسحاق الثعلبي، وبتفسيره الكشف والبيان، والمطلب الأول للمنهج المقارن عند الثعلبي في سبب النزول والأقوال التفسيرية، والمطلب الثاني للمنهج المقارن عند الثعلبي في تفسير آيات الأحكام، ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

الكلمات المفتاحية: المنهج، المقارن، الثعلبي، الكشف، البيان.

Summary:

Praise be to god alone ,and prayers and peace be upon the one after whom there is no prophet , and after:

The scholars of the nation have walked since ancient times with the interpretation of the words of god almighty, be guided by his guidance and consider his directions , and highlights the greatness of this Quran, and a variety of methods emerged from

المنارة للاستشارات

that in the science of interpretation, including the comparative interpretation that worked by the applicants, amonge these scholars the interpreter ahmed ibn mohammed ibn ibrahim al-thaalabi, the owner of the interpretation(disclosure and statement of interpretation of the Quran, so the search was tagg(comparative approach to interpreting the al-thaalabi through his book disclosure and explanation), preliminary the matlab is devoted to introducing the comparative approach to interpretation, and abi ishak al-thaalabi, and his interpretation of the disclosure and statement , and the first requirement of the comparative approach when the al-thaalabi is in the cause of revelation and the explanatory sayings, and the second requirement of the comparative method for the al-thaalabi in interpreting the verses of judgment, then she concluded the research with a conclusion in which she mentioned the most important results of the connected .

Key words: method, comparative, al-thaalabi, detection, statement

مقدمة

الحمد لله وحده، والصّلاة والسّلام على من لا نبي بعده، وبعد:

لقد انصبَّ اهتمام أهل التفسير في القديم والحديث على تفسير القرآن الكريم، الذي جعله الله كتاب معجزة وحجة، يسترشد العلماء بهداياته وينظروا في توجيهاته، ويبرزوا عظمة هذا القرآن، ونشأ عن ذلك مناهج بحث متنوعة في علم التفسير، ومنها المنهج المقارن، الذي سنحاول من خلال هذا البحث توظيف المفسر أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي صاحب تفسير(الكشف والبيان عن تفسير القرآن) له، فكان البحث موسوماً ب(المنهج المقارن في تفسير الثعلبي من خلال كتابه الكشف والبيان).

إشكالية البحث:

كيف وظف الثعلبي المنهج المقارن في تفسيره (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)؟

أهداف البحث:

المنارة للاستشارات

- بيان اهتمام المفسرين المتقدمين بالمقارنة بين الأقوال التفسيرية.
- إبراز توظيف الثعلبي للمنهج المقارن في تفسيره الكشف والبيان.

ولإنجاز هذه الورقة العلمية اعتمدت المنهج الوصفي الذي أخذ شكل الدراسة المقارنة، وكانت الخطة كالآتي:

خطة البحث:

المقدمة

المطلب التمهيدي: مقدمات

الفرع الأول: التعريف بالمنهج المقارن

أولاً: تعريف المنهج لغة واصطلاحاً

ثانياً: تعريف المقارنة لغة واصطلاحاً

ثالثاً: تعريف المنهج المقارن في التفسير

الفرع الثاني: التعريف بأبي إسحاق الثعلبي

أولاً: اسمه ونسبه

ثانياً: أهم شيوخه وتلاميذه وثناء العلماء عليه ومصنفاته

ثالثاً: عقيدته ومذهبه الفقهي ووفاته

الفرع الثالث: التعريف بتفسير الكشف والبيان

أولاً: اسم التفسير وموضوعه

ثانياً: مصادر الكتاب

ثالثاً: أهميته وثناء العلماء عليه

المطلب الأول: المنهج المقارن عند الثعلبي في سبب النزول والأقوال التفسيرية

المنارة للاستشارات

الفرع الأول: المنهج المقارن عند الثعلبي في سبب النزول

الفرع الثاني: المنهج المقارن عند الثعلبي في الأقوال التفسيرية

المطلب الثاني: المنهج المقارن عند الثعلبي في تفسير آيات الأحكام

الفرع الأول: اعتناء الثعلبي بالتعاريف اللغوية والاصطلاحية قبل المقارنة

الفرع الثاني: إبراز الثعلبي لاختلاف العلماء في المسألة إجمالاً، دون ذكر الجزئيات للأحكام.

خاتمة.

المطلب التمهيدي: مقدمات

الفرع الأول: التعريف بالمنهج المقارن

سنعرف في هذا المطلب بمصطلح (المنهج المقارن)، نعرف(المنهج) أولاً، ثم (المقارن) ثانياً، ثم نثلث بتعريف المنهج المقارن في التفسير.

أولاً: تعريف المنهج لغة واصطلاحاً

1/ تعريف المنهج لغة

طريق نهج: بين واضح، قال أبو كبير: فأخذته بأفل تحسب أثره ... نهجا أبان بذي فريغ مخرف والجمع نهجات ونهج ونهوج، قال أبو ذؤيب: به رجمات بينهن مخارم ... نهوج كلبات الهجائن فيح

المنارة للاستشارات

ومنهج الطريق: وضحه، والمنهاج كالمنهج. وفي التنزيل: لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا المائدة: ٤٨، ونهجت الطريق أيضا، إذا سلكته. وفلان يستنهج سبيل فلان، أي يسلك مسلكه[1].

2/ تعريف المنهج اصطلاحاً

عرف بعدة تعاريف، نقتصر على التعريفين الآتيين:

«الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة»[2].

وعُرف أيضاً بأنه: «استعمال المعلومات استعمالاً صحيحاً، في أسلوب علمي سليم، يتمثل في أسلوب العرض، والمناقشة الهادئة، والتزام الموضوعية التامة، وتأييد القضايا المعروضة بالأمثلة والشواهد المقنعة، دون إجحاف أو تحيز»[3]

ثانياً: تعريف المقارنة لغة واصطلاحاً

1/ تعريف المقارنة لغة

قرن الشيء بالشيء، وقرنه إليه يقرنه قرناً: شدَّه إليه. وقرن الحج بالعمرة قراناً: وصلَها، وقد اقترن الشيئان،

وتقارنا، وقارن الشيء الشيء مقارنةً، وقراناً: اقترن به، والجمع: أقران[4].

2/ تعريف المقارنة اصطلاحاً

---

[1]- المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن بن سيده تح: عبد الحميد هنداوي(4/ 171)، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لابن حماد الجوهري. تح: أحمد عبد الغفور عطار.(1/ 346)، وتهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري. تح: محمد عوض مرعب.(41/6)، ومختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي. تح: يوسف الشيخ محمد.ص 320.

[2]- مناهج البحث العلمي لعبد الرحمن بدوي. وكالة المطبوعات- الكويت. ط(3): 1977م. ص 5.

[3]- البحث العلمي حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه وكتابته وطباعته ومناقشته لعبد العزيز بن علي الربيعة. ص173.

[4]- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده. تح: عبد الحميد هنداوي. (6/ 364).

المنارة للاستشارات

عرفت المقارنة بقولهم:« مقارنة الرأي بالرأي: مقابلته أو موازنته به، ليُعرف مدى اتفاقهما أو اختلافهما، وأيهما أقوى وأسدُّ بالدليل»[5].

ثالثاً: تعريف المنهج المقارن في التفسير

طبيعة البحث تقتضي أن نعرف المنهج المقارن بإضافته لعلم التفسير: « هو أن يعمد المفسر إلى جملة من الآيات في موضع واحد في سورة واحدة يورد أقوال المفسرين السابقين، ويوازن بينهما ويقارن، وينقد الضعيف ويؤيد الصحيح»[6].

ويمكن أن يُعرف بأنه: المنهج الذي يعمد المفسر فيه إلى قولين في التفسير أو أكثر، ويقارن بينهما مع ترجيح ما يراه راجحاً[7].

الفرع الثاني: التعريف بأبي إسحاق الثعلبي

أولاً: اسمه ونسبه ومولده

أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري المفسر[8]، الثعالبي ويقال الثعلبي أيضا وهو لقب أيضاً وليس بنسبة[9].

اتفق المؤرخون على أن مولد الثعلبي كان في 340هـ في نيسابور[10].

ثانياً: أهم شيوخه وتلاميذه وثناء العلماء عليه ومصنفاته

1/ أهم شيوخه وتلاميذه

روى عن أبي محمد المخلدي وطبقته من أصحاب السّرّاج[11].

---

[5]- الفقه الإسلامي المقارن مع المذاهب لفتحي الدريني.

[6]- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر لفهد الرومي.(3/ 862).

[7]- ينظر: فصول في أصول التفسير لمساعد الطيار. ص33.

[8]- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي. تح: محمود الأرناؤوط. (5/ 127).

[9]- البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي. تح: علي شيري.(12/ 50).

[10]- أبو إسحاق الثعلبي ومنهجه في تفسير القرآن لندى عباس سالم عباس(رسالة ماجستر، جامعة الخرطوم، السودان- أوت 2008) ص4.

[11]- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي. تح: محمود الأرناؤوط. (5/ 127).

المنارة للاستشارات

وحدث عن أبي طاهر بن خزيمة وأبي بكر بن مهران المقرئ، وأبي بكر بن هانئ، وأبي بكر بن الطرازي والمخلدي، والخفاف وأبي محمد بن الرومي وطبقتهم، وهو كثير الحديث كثير الشيوخ[12].

وسمع منه الواحديّ التفسير[13].

2/ ثناء العلماء عليه

أثنى عليه غير واحد من أهل العلم، ومما يذكر في الثناء عليه:

- أنه كان حافظاً، واعظاً، رأساً في التفسير والعربية، متين الديانة[14].
- وقال ابن خلّكان: كان أوحد زمانه في علم التفسير[15].
- وذكره عبد الغافر في السياق فقال: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبي المقرئ المفسّر الواعظ الأديب الثقة الحافظ[16].
- وقال القفطي: المقرئ المفسّر الواعظ الأديب الثّقة الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة، العالم بوجوه الإعراب والقراءات[17].

3/ مصنفاته

له مصنفات عديدة، نذكر بعضها:

- من التفسير الحاوي أنواع الفرائد من المعاني والإشارات.
- وكلمات أرباب الحقائق.
- ووجوه الإعراب والقراءات.
- كتاب العرائس والقصص[18].

---

[12]- معجم الأدباء لياقوت الحموي تح: إحسان عباس.(507/2). والوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي. تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى.(7/ 201).

[13]- معجم الأدباء لياقوت الحموي تح: إحسان عباس.(507/2).

[14]- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي. تح: محمود الأرناؤوط. (5/ 127).

[15]- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي. تح: محمود الأرناؤوط. (5/ 127).

[16]- معجم الأدباء لياقوت الحموي تح: إحسان عباس.(507/2).

[17]- إنباه الرواة على أنباه النحاة لجمال الدين القفطي. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم.(154/1).

[18]- معجم الأدباء لياقوت الحموي تح: إحسان عباس.(507/2).

المنارة للاستشارات

وغير ذلك، وكان كثير الحديث واسع السماع، ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شئ كثير[19].

ثالثاً: عقيدته ومذهبه الفقهي ووفاته

1/ عقيدته

كان على مذهب أهل السنة والجماعة، وذلك لاعتصامه بنصوص الكتاب والسنة في إثبات العقائد[20]

2/ مذهبه الفقهي

كان رحمه الله شافعي المذهب بحكم نشأته في بلاد خراسان وسجستان وما وراء النهر، فقد تضافرت الأسباب

لانتشار المذهب الشافعي بهذه البلاد، والعلماء الذين تلقى عنهم دروس الفقه[21].

3/ وفاته

توفي أبو إسحاق الثّعلبي سنة سبع وعشرين وأربعمائة[22].

الفرع الثالث: التعريف بتفسير الكشف والبيان

أولاً: اسم التفسير وموضوعه

بين رحمه الله في مقدمة تفسيره اسمه وموضوعه فقال: وخرجت فيه الكلام على أربعة عشر نحواً: البسائط والمقدمات، والعدد والترتيلات، والقصص والروايات، والوجوه والقراءات، والعلل والاحتجاجات، والعربية واللغات، والإعراب

---

[19]- البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي. تح: علي شيري.(12/ 50).

[20]- عقيدة أبي إسحاق الثعلبي (عرض وتقويم) لحصة بنت محمد بن إبراهيم بن طالب. ص 377-379.

[21]-أبو إسحاق الثعلبي ومنهجه في تفسير القرآن لندى عباس سالم عباس. ص: 7.

[22]- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي. تح: محمود الأرناؤوط. (5/ 127)، والوافي بالوفيات للصفدي(7/ 201)، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي تح: إحسان عباس.(507/2).

المنارة للاستشارات

والموازنات، والتفسير والتأويلات، والمعاني والجهات، والغوامض والمشكلات، والأحكام والفقهيات، والحكم والإشارات، والفضائل والكرامات، والأخبار والمتعلقات، أدرجتها في أثناء الكتاب بحذف الأبواب، وسميته (كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن)[23].

وقال أيضاً: استخرت الله تعالى في تصنيف كتابٍ شاملٍ كاملٍ، مهذب ملخّص، مفهوم منظوم، مستخرج من نيفٍ ومائة كتاب مجرّبات مسموعات، سوى ما التقطته من التطبيقات، والأجزاء المتفرّقات وتلقّفنه عن أقوام من المشايخ، وهم قريب من ثلاثمائة مستمع ...، وسيبقى لكلّ مؤلّف كتابا في فن قد سيق إليه أن لا يعدم كتابة بعض الخلال التي أنا ذاكرها؛ إمّا استنباط شيء إن كان مقفلاً أو جمعه إن كان متفرّقاً، أو شرحه إن كان غامضاً، أو حسن نظم تأليفه، أو إسقاط شيء وتطويل[24].

ثانياً: مصادر الكتاب

اعتمد الثعلبي -رحمه الله- على عدة مصادر، ذكرها في مقدمة تفسيره، بعضها في عداد المفقودات أو من المخطوطات، وهذه أسماء الكتب التي عليها مباني كتابه:

1/ تفاسير القدماء

تفسيرُ ابن عباس، وتفسير عكرمة، وتفسير الكلبي، وتفسير مجاهد، وتفسير عطاء الخراساني، وتفسير الحسن بن أبي الحسن، وتفسير أبي العالية والربيع، وتفسير القرظي، وتفسير مقاتل بن حيّان، وتفسير مقاتل بن سليمان، وتفسير ابن جريح، وتفسير سفيان، وتفسير وكيع، وتفسير هشام بن بشير، وتفسير شبل، وتفسير ورقاء، وتفسير زيد بن أسلم، وتفسير روح بن عبادة، وتفسير الفراتي، وتفسير قبيصة، وتفسير سعيد بن منصور، وتفسير النهدي، وتفسير ابن وهب، وتفسير

---

[23]- الكشف والبيان للثعلبي.(8/1).

[24]- الكشف والبيان للثعلبي. تح: الإمام أبي محمد بن عاشور.(1/ 75).

المنارة للاستشارات

عبد الحميد، وتفسير محمد بن أيوب، وتفسير ابن كيسان، وتفسير أبي حمزة الثمالي، وتفسير المسيّب.

2/ مصنفات علماء عصر الثعلبي

تفسير عبد الله بن حامد: قرأه عليه.

تفسير أبي عمرو الفراتي الملقّب بالبستاني: أجازه له بجميعه لفظاً وخطّاً.

تفسير أبي بكر بن فورك: اقتصر على الأسئلة والأجوبة حتى فرغ منه.

تفسير أبي القاسم بن حبيب: سمعه منه غير مرّة.

تفسير جبريل: قرأه كلّه على مصنفه.

تفسير النبي صلّى الله عليه وسلم لأبي الحسن محمد بن القاسم الفقيه الصيدلاني.

كتاب ابن المبارك، وحقائق التفسير على لسان أهل الإمارة، وكتاب عروة.

3/ كتب المعاني

معاني الفرّاء، ومعاني الكسائي، ومعاني الزجاج، وكتاب النظم، وكتاب الغرائب، وغريب الأخفش[25].

ثالثاً: أهمية الكتاب وثناء العلماء عليه

1/ أهميته

اهتم العلماء رحمهم الله واعتنوا بتفسير الثعلبي لقيمته العالية والعلمية، ومن صور هذا الاهتمام:

- الرحلة لسماع هذا الكتاب: فقد كان عدد من طلاب العلم يرحلون من مسافات بعيدة لسماع تفسير الثعلبي، قال الواحدي: " وقد كان يؤتى إليه من أقاصي البلاد ودانيها، كي يسمع منه ويتلقى التفسير ".

-روايتهم للكتاب بالإسناد المتصل إلى مؤلفه.

[25]- الكشف والبيان للثعلبي. تح: الإمام أبي محمد بن عاشور.(1/ 75- 84).

المنارة للاستشارات

-تناوله بالتهذيب والاختصار، وممن اختصره: البغوي في تفسيره "معالم التنزيل"[26].

2/ ثناء العلماء عليه

قال أهل العلم:

- وصنّف «التفسير الكبير» الذي فاق غيره من التفاسير[27].
- المفسر، صاحب الكتاب المشهور بأيدي الناس المعروف بتفسير الثعلبي[28].
- قال الذهبي: وكان حافظاً واعظاً، رأساً في التفسير والعربية[29].

المطلب الأول: المنهج المقارن عند الثعلبي في سبب النزول والأقوال التفسيرية

الفرع الأول: المنهج المقارن عند الثعلبي في سبب النزول

إذا كان التدبر لكتاب اللّه هو مفتاح العلوم والمعارف موقوفاً على التفسير، والتفسير موقوفاً على سبب النزول، فلا شك أن لأسباب النزول أثراً في التفسير وبيان المراد، ولمعرفة أسباب النزول فوائد عديدة ذكرها العلماء أهمها: أن معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، وأن العلم بسبب النزول يرفع الإشكال، ويحسم النزاع، وأن معرفة سبب النزول تبين الحكمة الداعية إلى تشريع الحكم، ومنها توسعة علم الشريعة بمعرفة الأحكام بأسبابها، فيكثر ثواب المصنفين، والمجتهدين بسعة محل اجتهادهم، والتأسي والاقتداء بما وقع للسلف من حوادث في الصبر

[26]- أرشيف ملتقى أهل التفسير. http://tafsir.n. 1432هـ /2010م.

[27]- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي. تح: محمود الأرناؤوط. (5/ 127).

[28]- معجم الأدباء لياقوت الحموي تح: إحسان عباس.(507/2).

[29]- العبر في خبر من غبر لشمس الدين الذهبي . تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول. (256/2).

المنارة للاستشارات

على المكاره واحتمال الأقدار المؤلمة، فهذه أبرز الفوائد الناشئة عن معرفة أسباب النزول[30].

والمنهج المقارن الذي سار عيه الثعلبي رحمه الله في تفسيره في إيراده لأسباب النزول:

أولاً: يذكر الروايات في أسباب النزول دون بيان الراجح منها

وكمثال على ذلك، ما أورده من سبب نزول آية: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ البقرة: 224.

فقد ذكر قولين في سبب نزولها دون أن يرجح، القول الأول للكلبي قال: نزلت في عبد الله بن رواحة ينهاه عن قطيعة ختنه على أخته بشير بن النعمان الأنصاري، وذلك أنه كان بينهما شيء فحلف عبد الله أن لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح عنه وعن خصم له، وجعل يقول: قد حلفت بالله ألا أفعل، فلا تحل لي إلا أن يبر يميني، فأنزل الله هذه الآية.

والقول الثاني: أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

فقال مقاتل بن حيان: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) حين حلف ألا يصل ابنه عبد الرحمن حتى يسلم. وقال ابن جريج: حدثت أنها نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف أن لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الإفك[31].

ومثال على ذلك أيضاً سبب نزول الأنفال، أورد رحمه الله مجموعة من الأقوال:

قول لابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر: «من أتى مكان كذا وكذا فله من الفضل كذا، ومن قتل قتيلاً فله كذا، ومن أسر أسيراً فله كذا.....» الحديث، وفيه قال سعيد: يا رسول الله إن الناس كثير وإن الغنيمة دون ذلك،

---

[30]- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية لخالد بن سليمان المزيني.(1/ 26- 37).

[31]- الكشف والبيان للثعلبي. (2/ 163).

المنارة للاستشارات

وإن تعط هؤلاء التي ذكرت لا يبق لأصحابك كثير شيء، فنزلت يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ بب الأنفال: ١ الآية، فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم بالسوية.

وقولٌ ثانٍ لعبادة بن الصامت قال: فينا معاشر أصحاب بدر نزلت...

وقول ثالث لسعد بن أبي وقاص: نزلت فيَّ هذه الآية ...

وقول رابع لابن جريج: نزلت في المهاجرين والأنصار ممن شهد بدراً ...

وعن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال:كانت المغانم لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصةً ليس لأحدٍ فيها شيءٌ، وما أصاب سرايا المسلمين من شيءٍ أَتَوْه به، فمن حبس منه إبرة أو ملكا فهو غلول، فسألوا رسول الله أن يعطيهم منها، فأنزل الله عز وجل يسئلونك يا محمد عن الأنفال؛ أي: حكم الأنفال وعلمها وقسمها[32].

ثانياً: إيراده الاختلاف في سبب النزول

ومثال على ذلك: سبب نزول قول الله تعالى: چ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ چ البقرة: ١١٥ الآية، بين أنهم اختلفوا في سبب نزولها:

فقال ابن عباس: خرج نفرٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرٍ، وذلك قبل تحويل القبلة إلى الكعبة، فأصابهم الضباب، فحضرت الصلاة فتحرَّوا القبلة وصَلُّوا، فمنهم من صلى إلى المشرق، ومنهم من صلى إلى المغرب، فلما ذهب الضباب استبان لهم إنهم لم يصيبوا، فلما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فنزلت هذه الآية بذلك.

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلةٍ سوداء مظلمة، فنزلنا منزلاً فجعل الرجل يتخذ أحجاراً فيعمل مسجداً يصلّي فيه، فلما أصبحنا إذا نحن قد صلينا إلى غير القبلة، فقلنا يا رسول الله: لقد صلينا ليلتنا هذه إلى غير القبلة فأنزل الله هذه الآية.

وقال عبد الله بن عمر: نزلت في صلاة المسافر يصلي حيثما توجهت به راحلته تطوعاً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته جائيا من مكة إلى

[32]- الكشف والبيان للثعلبي (4/ 324، 325).

المنارة للاستشارات

المدينة، وعن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته في السفر حيثما توجهت به.

وقال عكرمة: نزلت في تحويل القبلة لما حولت إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﭽ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ ﭼ البقرة: ١١٥[33].

يقول أبوحيان: وهذه أقوال كثيرة في سبب نزول هذه الآية، وظاهرها التعارض، ولا ينبغي أن يقبل منها إلا ما صح، وقد شحن المفسرون كتبهم بنقلها...، والذي يظهر أن انتظام هذه الآية بما قبلها هو: أنه لما ذكر منع المساجد من ذكر الله والسعي في تخريبها، نبه على أن ذلك لا يمنع من أداء الصلوات، ولا من ذكر الله، إذ المشرق والمغرب لله[34].

ثالثاً: إبداء أصح الأقوال في سبب النزول

فعند الحديث عن الخلاف الواقع في نزول سورة الفاتحة، هل كان بمكة أم الدينة؟ أورد الأقوال في ذلك:

فعن علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنزٍ تحت العرش، وعلى هذا أكثر العلماء... ثم قال: يدل عليه ما روي عن عمر بن شرحبيل قال: إن أول ما نزل من القرآن ﭽ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ الفاتحة: ٢... ﭼ[35]

وعن مجاهد قال: فاتحة الكتاب أنزلت في المدينة، قال الحسن بن الفضل: لكل عالمٍ هفوة، وهذه منكرة من مجاهد لأنه تفرد بها، والعلماء على خلافه.

وصح الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي بن كعب أنها من: أول ما نزل من القرآن.

وأنها: السبع المثاني، وسورة الحجر مكية بلا اختلاف، ومعلوم أن الله تعالى لم يمتن عليه بإتيانه السبع المثاني وهو بمكة، ثم أنزلها بالمدينة، ولا يسعنا القول بأن

---

[33]- الكشف والبيان للثعلبي (1/ 262).

[34]- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي. تح: صدقي محمد جميل. (1/ 576).

[35]- الكشف والبيان للثعلبي (1/ 89).

المنارة للاستشارات

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بمكة يصلي عشر سنوات بلا فاتحة الكتاب، هذا مما لا تقبله العقول.

وقلت: قال بعض العلماء وقد لفَّق بين هذين القولين: أنها مكية ومدنية، نزل بها جبرئيل مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة حين حلها رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيماً وتفضيلاً لهذه السورة على ما سواها، ولذلك سميت مثاني والله أعلم[36].

الفرع الثاني: المنهج المقارن عند الثعلبي في الأقوال التفسيرية

أولاً: عدم ترجيح الثعلبي بين أقوال المفسرين

لا يرجح إذا ذكر أقوال من سبقه من المفسرين، فهو يكتفي بسردها دون اختيار واحدٍ منها، فعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ البقرة: ١٦٨

بين رحمه الله أنه روى علي بن أبي طلحة عن ابن عبّاس: خُطُواتِ الشَّيْطانِ: عمله. وأن مجاهد وقتادة والضّحاك قالوا: خطاياه، وأن السّدي والكلبي قالا: طاعته، وأن عطاء عن ابن عبّاس أنه قال: زلاته وشهواته، ... وأبو عبيد: هي المحقّرات من الذنوب، والقتيبي والزجاج: طرقه. واكتفى في الأخير بقوله:«والخطوة ما بين القدمين، والخطوة بالفتح الفعلة الواحدة من قول القائل: خطوت خطوة واحدة»[37].

وكمثال آخر على ذلك، قوله في معنى الفحشاء الوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ البقرة: ١٦٩، قال رحمه:«واختلف المفسرون في معنى الفحشاء المذكور في هذه الآية: رُوى عن ابن عبّاس قال: الفحشاء كلّ ما فيه حدّ في الدّنيا من المعاصي فيكون من القول والفعل، والسّوء من الذنوب ما لا حدّ فيه.

وعن طاوس عنه: فهو ما لا يعرف في شريعة ولا سنّة.

---

[36]- الكشف والبيان للثعلبي (1/ 90).

[37]- الكشف والبيان للثعلبي. (2/ 38).

المنارة للاستشارات

وعن عطاء عنه: البخل.

وعن السّدي: الزّنا.

وزعم مقاتل إنّ جميع ما في القرآن من ذكر الفحشاء فإنّه الزّنا إلّا قوله: چ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ البقرة: ٢٦٨ ، فإنّه منع الزّكاة»[38].

ومثاله كذلك: ما بينه في اختلاف المفسرين في إتمام الحج والعمرة من قوله تعالى: چ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ چ البقرة: ١٩٦ ، فقال:

فقال بعضهم: إتمامهما بمناسكهما وحدودهما وسنتهما...

وقال آخرون: من أحرم بحج أو عمرة ليس له أن يحل حتى يتمها...

وقال سعيد بن جبير وطاوس: تمام الحج والعمرة أن يحرم بهما مفردين...

وقال قتادة: إتمام العمرة أن يعتمر في غير أشهر الحج...

وقال الضحاك: أيامها إتمامها أن يكون النفقة حلالاً وينتهي عما نهى الله عنه.

وقال سفيان: تمامها أن يخرج من بلده لهما لا يريد غيرهما[39].

ثانياً: إبراز الثعلبي لأكثر من رؤية تفسيرية

في قول الله تعالى: چوَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ چ البقرة: ١٧٠ ، بين رحمه الله أن أهل التفسير اختلفوا في وجه هذه الآية فقال بعضهم: إنها قصة مستأنفة وأنها نزلت في اليهود.

وقال قوم: بل هذه الآية صلة بما قبلها، وهي نازلة في مشركي العرب وكفار قريش، واختلفوا فيه:

فقال الضحاك عن ابن عباس: وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله يعني كفار قريش... قالوا: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا من عبادة الأصنام. فقال الله أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من التوحيد ومعرفه الرحمن ولا يهتدون للحجة البالغة،

---

[38]- الكشف والبيان للثعلبي. (2/ 38).

[39]- الكشف والبيان للثعلبي (95/2).

المنارة للاستشارات

وعلى هذا القول تكون الهاء والميم عائدة على من في قوله: ﭽ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﭼ البقرة: ١٦٥ .

وقال الآخرون: ﭽوَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﭼ في تحليل ما حرموه على أنفسهم من الحرث والأنعام والسائبة والوصيلة والبحيرة والحام، وسائر الشرائع والأحكام، ﭽقَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا ﭼ ما وجدنا عليه آباءنا من التحريم والتحليل والدين والمنهاج، وعلى هذا القول تكون الهاء والميم راجعة إلى الناس في قوله تعالى: ﭽ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﭼ البقرة: ١٦٨ ، ويكون الرجوع عن الخطاب إلى الخبر.

فبعد أن ذكر-رحمه الله- جملة من أقوال أهل التفسير، ذهب إلى ترجيح القول الأخير الذي ذكره، فقال: وهذا أولى الأقاويل لأن هذه القصة عقب قوله: ﭽيَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﭼ فهو أَولى أن يكون خبراً عنهم من أن يكون خبراً عن المتخذين الأنداد بما فيهما من الآيات لطول الكلام[40].

المطلب الثاني: المنهج المقارن عند الثعلبي في تفسير آيات الأحكام

اعتنى الثعلبي رحمه الله ببيان الأحكام الفقهية في تفسيره، ولقد أوضح ذلك في مقدمة تفسيره بقوله: «وخرجت فيه الكلام على أربعة عشر نحو: البسائط والمقدمات .....، والتفسير والتأويلات، والمعاني والجهات، والغوامض والمشكلات، والأحكام والفقهيات....»[41].

ويمكن بيان اعتناء الثعلبي بالمنهج المقارن في تفسير آيات الأحكام فيما يلي:

الفرع الأول: اعتناء الثعلبي بالتعاريف اللغوية والاصطلاحية

---

[40]- الكشف والبيان للثعلبي (39/2، 40).

[41]- الكشف والبيان للثعلبي (1/ 8).

المنارة للاستشارات

ومثال على ذلك عند تفسيره لقول الله عز وجل:چ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ چ البقرة: ١٨٣، بين المعنى اللغوي فقال: هو مصدر قولك: صمت صياماً، كما تقول: قمت قياماً، وأصلُ الصوم والصيام في اللغة: الإمساك، يقال: صامت الريح إذا سكنت وأمسكت عن الهبوب، وصامت الخيل إذا وقعت وأمسكت عن السير، ويقال للرجل إذا صمَت وأمسك عن الكلام: صام. قال الله تعالى: چفَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا چ مريم: ٢٦، أي: صمتاً.

وبعدها عرف الصيام اصطلاحاً فقال: هو الإمساك عن المعتاد من الطعام والشراب والجماع[42].

الفرع الثاني: إبراز الثعلبي لاختلاف العلماء في المسألة إجمالاً، دون ذكر الجزئيات للأحكام، مع إبداء رأيه في المسألة مدعماً بالدليل الذي يراه قوياً.

ومثال على ذلك: إيراده لاختلاف العلماء في مسألة السعي بين الصفا والمروة أثناء تفسيره لقول الله عز وجل:

إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ چ البقرة: ١٥٨.

فذكر أن: الشافعي ومالك قالا: الطواف بين الصفا والمروة فرض واحد، ومن تركه لزمه القضاء والإعادة ...

وقال الثوري وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد: حكم الطواف منهما حكم رمي بعض الجمرات مما يجزي تاركه بتركه فدية ولا يلزمه العود لقضائه بعينه...

وقال أنس بن مالك وعبد الله بن الزبير ومجاهد وعطاء: الطواف بهما تطوع إن فعله فاعل يكن محسناً، وإن تركه تارك لم يلزمه بتركه شيء.

[42]- الكشف والبيان للثعلبي(62/2، 63).

المنارة للاستشارات

ثم أورد الأدلة بعد ذكر الأقوال، وفي الأخير بين الراجح عنده بعد الموازنة بين الأقوال فقال: ثم الدليل على إن السعي بينهما واجبٌ، وعلى تاركه إعادة الحج ناسياً ترْكَه أو عامداً بظاهر الأخبار أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك وأمر به.

فعن جابر قال: لما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصفا في حجته قال: «إن الصفا والمروة من شعائر الله إبدءوا بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت، ثم مشى حتى إذا تصوبت قدماه في الوادي سعى.

وروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: لعمري ما حج من لم يسع بين الصفا والمروة، مفروض في كتاب الله والسنة، قال الله تعالى: چ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ البقرة: ١٥٨ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا أيها الناس كتب عليكم السعي فاسعوا "[43].

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

وبعد:

في خاتمة هذا البحث أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها:

أولاً: أن الثعلبي رحمه الله يذكر الروايات في أسباب النزول دون بيان الراجح منها.

ثانياً: أن الثعلبي يورد الاختلاف في سبب النزول، دون إبداء أصح الأقوال عنده.

ثالثاً: إبراز الثعلبي لأكثر من رؤية تفسيرية مع الترجيح.

رابعاً: إبراز الثعلبي لاختلاف العلماء في المسألة إجمالاً أثناء تفسيره لآيات الأحكام، دون ذكر الجزئيات، مع إبداء رأيه في المسألة مدعماً بالدليل الذي يراه قوياً.

والحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

[43]- الكشف والبيان للثعلبي (2/ 27، 28).

المنارة للاستشارات

1. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر لفهد الرومي. إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- السعودية. ط(1): 1407هـ- 1986م.
2. إنباه الرواة على أنباه النحاة لجمال الدين القفطي. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت. ط(1): 1406 هـ - 1982م.
3. البحث العلمي حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه وكتابته وطباعته ومناقشته لعبد العزيز بن علي الربيعة. فهرسة مكتبة الملك فهد- السعودية. 1418هـ
4. البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي. تح: صدقي محمد جميل. دار الفكر – بيروت. ط: 1420 هـ
5. البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي. تح: علي شيري. دار إحياء التراث العربي. ط(1): 1408هـ - 1988م.
6. تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري. تح: محمد عوض مرعب. دار إحياء التراث العربي – بيروت. ط(1): 2001م.
7. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي. تح: محمود الأرناؤوط دار ابن كثير، دمشق – بيروت. ط(1): 1406 هـ - 1986 م.
8. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لابن حماد الجوهري. تح: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين – بيروت. ط(4): 1407 هـ - 1987م.
9. العبر في خبر من غبر لشمس الدين الذهبي . تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية – بيروت. بدون.
10. فصول في أصول التفسير لمساعد الطيار. دار ابن الجوزي. ط(2): 1423هـ
11. الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبي. تح: الإمام أبي محمد بن عاشور. دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان. ط(1): 1422 هـ - 2002 م.

المنارة للاستشارات

12. المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية لخالد بن سليمان المزيني. دار ابن الجوزي، الدمام – السعودية. ط(1): 1427 هـ - 2006 م.

13. المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن بن سيده تح: عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية – بيروت. ط(1): 1421 هـ - 2000 م.

14. مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي. تح: يوسف الشيخ محمد. المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا. ط(5): 1420هـ / 1999م.

15. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لشهاب الدين ياقوت الحموي. تح: إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي، بيروت. ط(1): 1414 هـ - 1993 م.

16. مناهج البحث العلمي لعبد الرحمن بدوي. وكالة المطبوعات- الكويت. ط(3): 1977م.

17. الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي. تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. دار إحياء التراث بيروت. 1420هـ- 2000م.

المنارة للاستشارات